الفصل الأول
المذهب المالكي انتشارا وسيادته زمن دولتي مالي وصنغي

١ـ مرحلة الذيوع و الانتشار "دولة مالي"

٢ـ مرحلة سيادة المذهب المالكي "دولة صُنغى "

obeikandl.com

obeikandl.com

تبدأ مرحلة الذيوع والانتشار للمذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بظهور دولة مالي الإسلامية التي قامت في تلك البلاد وظهرت كقوة بارزة على الساحة السياسية بعد انهيار دولة غانة عام (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) على أيدي قبائل الصوصو[١]. مما أحدث فراغاً سياسياً في المنطقة ، الأمر الذي دفع الأقاليم الإفريقية التي كانت تنضوي تحت لواء غانة إلى تكوين كيانات سياسيه مستقلة ، تصارعت فيما بينها على السلطة والسيادة إلى أن آل الأمر أخيراً إلى قبائل الماندنجو[٢] المسلمة القاطنة في إقليم كانجابا ، وهذه القبائل هي التي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية التي ميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل

(١) الصوصو " فرع من الفولانيين هاجر من تكرور واتجه شرقا إلى إقليم كانياجا في حوض نهر النيجر ، حيث أسس طبقة حاكمة ودولة توسعت فيما حولها في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،وا لصوصو قاموا بتحطيم إمبراطورية غانة الإسلامية ، عام(٥٩٩هـ / ١٢٠٣م)، واصطدموا بدوله مالي النامية في كاناجابا ، أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص٧٦، ٧٧ ويظهر من خلال الرواية الشفوية ، أن شعب الصوصو بقيادة "سومانجورو"كانت له طموحات سياسية كبيرة في بلاد السودان ، ذلك أنهم بعد إخضاع مملكة غانة وربما كذلك بلاد التكرور ، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب ، وتمكنوا من بسط نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود ، أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط ، وقد كان من نتائج سياسة العنف التي مارسها سوما نجورو إزاء الماندينغ والشعوب الأخرى الخاضعة له ، أن تعمّق الإحساس لدى القبائل السودانية بضرورة توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد الصوصو، أنظر أحمد الشكرى : إمبراطورية مالي ، ص ١٧٩.

(٢) ومؤسسو دولة مالي هم قبائل الماندنجو ، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنجو هي : المانكا ، أو الماندكا ، أو الماندينغ أو ماننج ، أو ماننجا ، أو ماندج ، وهى كلها متقاربة ، وقد سادت هذه القبائل لبضعه قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسى ، في الوديان العليا لنهرى السنغال ، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض ٥٩ شمالا ، ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله ، أنظر إبراهيم على طر خان : دراسات في التاريخ القومي الإفريقي ، مرجع سابق، ص٢٦ ، ص٢٧

Hunwik, J.o: the Mid –Fourteenth Century of Mali , The Journal of African History ,vol.١٤,No.٢ (١٩٧٣),p٢٠٣

توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك ، وكذلك دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي[١] في الفترة مابين (٦٢٨ ـ ٨٣٤ هـ/ ١٢٣٠ـ ١٤٣٠م) .

ولهذه الدولة منذ فجر ظهورها ما لا يقل عن ثماني أسر حاكمة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل أسرة كوروما ، وأسرة ديارا ، وأسرة مركو ، وأسرة كامارا ، وأسرة باكابوكو ، وأسرة التروريين ، وأسرة الكونانتيين، و أسرة كيتا[٢] .

وقد قاد سندياتا كيتا[٣] قبائل الماندنجو إلى النصر ، إذ هزم مملكة الصوصو الوثنية المنافسة بزعامة سومانكورو في معركة كيرينا الحاسمة وقتل إمبراطور الصوصو عام (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)[٤] . وأتاح هذا النصر السيطرة على كافة الأجزاء التي كانت ضمن نطاق دولة غانة ، وأن يقيموا دولتهم التي عُرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية في الفترة مابين(٦٣٨ـ٨٣٤هـ/ ١٢٣٠ـ١٤٣٠م) على أنقاض هذه الدولة .وقام زعماء قبائل الماندنجو بتنصيب "سندياتا " كإمبراطور عليهم

---

(١) إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ص١٧ ، ص١٨.

(٢) أسرة كيتا ، لم تكن هي الأسرة التي حكمت مالي ، إذ سبقتها أسر، غير معروفه مثل هذه الأسرة غير أنها أدت دورا ما ثم اختفت من مسرح الأحداث ، أنظر ، Joseph ki – zerbo. P ١٣٠، وللمزيد عن هذه الأسر الحاكمة أنظر، إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٣٣، ٣٥.

(٣) هو سندينا كيتا ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسي كيتا المشهور بموسي إلاكوي ، وقد اشتهر سندياتا بلقب " ماري جاطة" ، ماري معناها الأمير من نسل السلطان ، جاطة معناها الأسد ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ١٨٩٥ ، القلقشندى : صبح الاعشي في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون تاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٩٣.

(٤) Nobiakai AL-Nuraslaam,An Investigation of Malinke historiography ;from studiata to Almamy Samori Toure ,Howard University ,Washington D.C,٢٠٠٥,p.٢٠.

عام(٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) وظهر أمامهم بلباس المسلم المؤمن[١] الذي يمثل نموذج الخليفة المسلم القوى بعد أن قدم له الزعماء آيات الولاء والطاعة.

في نفس العام الذي حقق فيه "سندياتا " انتصاره على ملك الصوصو اتخذ عاصمة جديدة لمملكته عرفت بـ (نيانى) أي " المدينة الآمنة" . وكانت هذه المدينة لا تبعد عن مدينة جني

إلا مسيرة بضعة أيام[٢]، ومنها كان يتم التحكم في الأمور الاقتصادية والحربية والسياسية للدولة ، وتلقب هذا الملك ، بـ"مارى جاطة "[٣].

كما استعان "مارى جاطة" بقواده في تمهيد بلاد السودان الغربي فشهدت مملكة مالي في عهده توسعا شمل كل الإمارات والممالك السودانية ،فضمت إقليم التكرور ، والمناطق التي كانت خاضعة لغانة ، ومنطقة الصنغي . وبانصهار هذه الأقاليم في مملكة مالي الناشئة في كيان واحد تحولت معه مالي إلى إمبراطورية عظيمة القوة والاتساع حيث مارست نشاطها في السودان الغربي كله ، وحققت آمالها في الميادين السياسية والاقتصادية كافة حيث امتدت من جبال الأطلس غربا إلى بلاد الهوسا شرقا ، ومن المحيط الأطلسي جنوبا وحتى الصحراء الكبرى شمالا.غير أن هذه الإمبراطورية قد بلغت أوج عظمتها وذروة مجدها واتساعها خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث انفتحت في هذا الوقت على العالم الإسلامي

---

(١)أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع ، مرجع سابق ، ص١٨١ .

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ١٨٩٥ . ٢٧، شكلت "نيانى " عاصمة مالي طيلة القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وموقع نيانى ، يوجد على أحد روافد نهر النيجر ، وهو رافد سانكرانى ، أنظر ،أحمد الشكرى : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق، جـ ٢، ص١٨٩٥ .

، مما كان له الأثر الايجابي الكبير في التعريف بمملكة مالي وكذلك نمو المؤثرات الإسلامية بها (١).

وعلى أية حال فقد استطاع " مارى جاطة" أن يوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته ، كما شهدت دولته تطورا ملحوظا في الأنشطة كافة ، وعند وفاته سنه(٦٥٢هـ / ١٢٥٥م) كانت دولته قد امتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسي إلى أواسط النيجر شرقا ، ومن فوتا جالون جنوبا إلي الغرب من كومبي صالح عاصمة غانة السابقة شمالاً ، وأصبحت مساحة دولة مالي تقدر بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها تقريبا(٢) . وهكذا كان اتساع إمبراطورية مالي في عهد" مارى جاطة " قد زاد من شهرتها، وكذلك في ثرواتها مما كان له أثر بالغ في استقطاب الكثير من الوافدين إليها وفي مقدمتهم فقهاء المالكية ، مما كان سببا من أسباب انتشار وذيوع المذهب المالكي.

وجاء بعده ابنه منسا ولى(٣) (٦٥٢ـ ٦٦٩ هـ / ١٢٥٥ـ ١٢٧٠م) الذي وصفه القلقشندى بأنه أعظم ملوكهم(٤) فقد اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه الذين ساعدوه في توسيع رقعه مملكته. وقد اتسمت فترة حكمه بالرخاء إلى حد ما ، وبالتوسع في المناطق المجاورة ، والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصدراً اقتصادياً مهماً فقام بغزو جنجرا وونقارة اللتين يوجد بهما مناجم غنية

---

(١) احمد الشكري : مرجع سابق ، ص ١٨٠.

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ،ص٤٣.

(٣) ومعناها السلطان ولى وهو الابن الأكبر لسنديانا ، كما عرف بالملك الأحمر نظرا لأنه كان أبيض البشرة ،مما استدل من خلاله إبراهيم طرخان بأن أسرة كيتا جاءت من اليمن ، أنظر إبراهيم طر خان : المرجع السابق، ص٣٥.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ،جـ٥، ص ٢٩٣.

بالذهب ،وضم إلى مملكته كونكودوجو ، وسانى نيانجا ، وسانجاران[١] ، كما زحف على بعض مناطق التكرور وتمكن من أخذ بعض الرهائن من الأسرة الحاكمة ليضمن لنفسه ولاء تلك الأسر ، وكذلك أخذ رهائن من إمارة صُنغى الناشئة[٢] وقد استمر حكمه قرابة خمسة وعشرين عاماً .

بعد وفاة منسا ولى عام (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) تولى زمام الحكم سبعة ملوك ضعاف[٣]، ويبدأ الضعف يتسرب إلى دولة مالي، حتى نجح ساكورة(٦٨٤ ـ ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠م) في انتزاع الحكم من أسرة كيتا ، بعد انقلاب تم فيه قتل الحاكم الشرعي للبلاد ، وساكورة ليس من البيت الحاكم ، وإنما هو مولى من مواليهم[٤] .

وقد اتسع نطاق ملكه وقام بفتح مدينة جاو وضمها إلى مملكته ، كما غزا بلاد التكرور في الغرب ، وونقارة وجاو حتى أصبحت شعوب السودان الغربي تخشى بأسه[٥]، كما شهد عهده استتبابا في الأمن والنظام ، وانتعاشا في الحياة السياسية والاقتصادية ، فتوافد عليها التجار من بلاد المغرب وإفريقية[٦] ومعهم فقهاء المالكية. وفى المرحلة الأخيرة من حكمه ، قام ساكورة بأداء فريضة الحج في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٣-١٣٤١م). وفى أثناء عودته

---

(١) تقي الدين أحمد المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥م ،جـ١، ص١١٠.

(٢) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ص٦٤.

(٣) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : "تولى من بعده إخوه واتى ، ثم من بعده أخوهم خليفة وكان محمقا راميا ، فكان يرمى السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه ، وولى عليهم من بعده سبط من أسباط مارى جاطة يسمى أبا بكر ، وكان ابن بنته فملكوه على سنن العجم في تمليك الأخت وأبن الأخت ، ولم يتسن معرفة نسبه ونسب أبيه " أنظر ابن خلدون :مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥.

(٤) ابن خلدون : :مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥.

(٥) أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص١٨٣.

(٦) ابن خلدون :مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

من الأراضي المقدسة قتل في تاجورة بالقرب من طرابلس عام (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)[١] وبذلك أسدل الستار على حكمه الذي استمر خمسة عشر عاما.

وخلاصة القول إن هذه الشخصيات الثلاث (مارى جاطة ـ منسا ولى ـ ساكورة) قد سيطرت على مجريات الأحداث خلال (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، من تاريخ هذه المملكة ، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس إمبراطورية قوية . قادرة على التحول لمنعطف جديد في تاريخها .

ثم اكتسبت مالي في عهد منسا موسى(٧١٢ ـ ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م)[٢] شهرة عظيمة وهوالذي تولى مقاليد الأمور ، ووصلت مالي في عهده إلى قمة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع ، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطئي المحيط الأطلسي[٣] إلى منطقة دندى ومناجم النحاس في تكده مركز القوافل شرقا "شرقي النيجر" ،ومن مناجم الملح في تغازا في الصحراء شمالا إلى فوتا جالون[٤]،ومناجم الذهب في ونقارة جنوبا بغرب ،وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية[٥].

كما انتعشت التجارة في عهد منسا موسى وأصبحت أسواق مالي من أهم أسواق السودان الغربي كله ، وزاد من أهمية هذه الأسواق انتقال سوق الذهب إليها

---

(١) أحمد الشكرى : مرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٢) بعد وفاة منسا ولى ، تولى سبعه ملوك تولوا حكم البلاد من بعده كان أشهرهم منسا موسى ، أنظر أحمد الشكرى :المرجع السابق ص١٨٤.

(٣) و جاء وصف السعدي لمالي :" أما مالى فإقليم كبير واسع جدا في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط " أنظر عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان مصدر سابق ، ص٩.

(٤) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ، ص١٠٦.

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص٧٧.

، مما كان سببا في اجتذاب الكثير من التجار من درعة و سوس و سجلماسة و فزان و مصر أيضاً[١].

ذلكم هو منسا موسى الذي أشاد به وبمجده معظم الذين كتبوا عن تاريخ هذه المملكة العظيمة ، وعلى رأس هؤلاء الكتاب ،ابن بطوطة ، الذي حفلت رحلته إلى السودان الغربي بأخبار هذه المملكة ، لأنه زارها ووقف على الحالة فيها . ثم ابن خلدون الذي قال عنه أنه: " كان رجلا صالحا ، وملكا عظيما ، له في العدل أخبار تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد "[٢].

وهكذا أصبحت مالي إمبراطورية مترامية الأطراف، بقبائلها المتعددة وثرواتها الغنية وموارِدها المتنوعة ومراكزها التجارية النشيطة بالإضافة إلي مراكزها الثقافية التي أسهمت في انتشار المذهب المالكي في هذه المملكة[٣].

وتتعدد أسباب انتشار وذيوع المذهب المالكي في السودان الغربي زمن دولة مالي ومنها جهود حكام تلك الدول في دعم وانتشار المذهب المالكي ،ومن بينهم مارى جاطة الذي أحجم عن التقدم نحو مدينه ولاته[٤] بعد أن قضى على دولة الصوصو الوثنية رعاية لحق من لجأ إليها من المسلمين الذين هربوا من قبل أمام خطر الصوصو ومن بينهم عدد كبير من علماء وفقهاء المذهب المالكي[٥].كما تمكن الإسلام في دولة مالي وذاع الفقه المالكي عندما تولى "منسا ولى" (٦٥٢ـ ٦٦٩ هـ /

(١) عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية ، ص ٣٧.

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٣) أحمد الشكرى: الإسلام والمجتمع ، ص١٩٠.

(٤) ولاته هي : المعروفة في رحله أبن بطوطة باسم إيوالاتن " أيوالاتن وبينها وبين مالي أربعة وعشرون يوما ، وطريقها كثير الأشجار وبها ما يشبه ثمار الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش " وأعتبرها ابن بطوطة آخر عمل مالي في اتجاه الشمال أنظر ابن بطوطة :مصدر سابق ، ص٦٦٢، ٦٦٣.

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص٤٢.

١٢٥٥ ـ ١٢٧٠م)الحكم بعد وفاة أبيه "مارى جاطة" والذي بتوليه الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن أخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته[١].

وجاء "منسا ولى" الذي تأكد وعيه الديني و حرصه على التقاليد الإسلامية في أداء فريضة الحج ، بعد أن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يُفقهون الناس في أمور دينهم[٢] وكان هذا في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذي حكم مصر في الفترة(٦٥٨ـ٦٧٨هـ / ١٢٦٠ ـ١٢٧٧م)[٣].

وبعد فترة اضطراب وفوضى دامت سبع سنوات نجح ساكورة في اغتصاب الحكم (٦٨٤ ـ ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ ـ١٣٠٠ م)، وقد اشتهر بالعدل وحسن السيرة، مما كان له الأثر الأكبر في انتشار السلم في هذه البلاد ، وشجع فقهاء المالكية[٤] على التوافد إليها من إفريقية وبلاد المغرب، وكان هذا سبباً من أسباب ذيوع المذهب المالكي و انتشاره في دولة مالي .

ويعد عصر منسا موسى (٧١٢ ـ ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م).[٥] عصر الازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة وكان هذا بفضل جهوده المتعددة والتي قام بها لدعمه ، ويرجع هذا إلى أنه كان ورعاً تقياً محافظاً على الصلوات وعلى قرأة

---

(١) ابن بطوطة : مصدر السابق ، ص ٦٦١، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٤، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٣.

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥.

(٤) المصدر السابق والصفحة . ، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٩٤.

(٥) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ٣٨.

القرآن والذكر[١] ، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في بعض مدن دولته، ومن أشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو ، والجامع الكبير[٢] في مدينة تنبكت[٣] .

ويذكر ترمنجهام[٤] أن منسا موسى قد صبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيده بها من مساجد ،وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة، وبرعايته للعلم والعلماء.

كما كان منسا موسى صالحا عادلاً[٥] متمسكاً بالمذهب المالكي فخوراً بالانتساب إليه ، ويظهر هذا جلياً عندما مر على مصر أثناء رحلة حجه عام (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) ، ودخل على سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ـ ٧٤١هـ / ١٢٩٣ ـ ١٣٤١م)وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر المملوكي

(١) العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، عصام مصطفى هزايمة ، يوسف أحمد بني ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ،٢٠٠١م ، جـ٤ ، ص ٥٩.

(٢) يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها ، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الأول له ، ويعبر السعدي عن بناء المسجد الجامع فيقول " كان أولا على صورة متواضعة تتناسب مع حجم السكان بالمدينة في تلك الفترة ، كما يقول كذلك : "أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى "٧٠٧ـ٧٣٣هـ/ ١٣٠٧ـ١٣٣٢م"صاحب مالى هو الذي بناه ، وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والغرب " أنظر السعدي : مصدر السابق ، ص٥٦.

(٣) مدينة تنبكت منذ نشأتها مدينة إسلامية ،"ما دنستها عبادة الأوثان ولا سُجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين .."وذلك لأن طوارق مغشرن الذين أنشأوها كانوا مسلمين .وكانت تقدم عليها منذ ذلك الحين قوافل التجار المسلمين ، ثم أقام فيها المسلمون من كل مكان ، وتبعهم العلماء والفقهاء ، وتتابع العمران إلى أن أضحت أعظم مدينة إسلامية في غرب إفريقية ، وأعرق مركز ثقافي وتجارى ، وأشهر مركز تعليمي إسلامي فيها ، أنظر السعدي : مصدر سابق، ص ٢١.

(٤) Tromigham , J .s . , A History of Islam in west Africa. p٧٠. Oxford١٩٧٠,

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٧ ، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٥ .

فرفض وأبى وقال :" أنا مالكي المذهب لاأسجد لغير الله "فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه"[١] .

وأمر سلطان مصر وزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن " يجهزه بكل ما يحتاج إليه "كما أمر بإنزاله بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر [٢] أي ملكه له وهو إقطاع من نوع التمليك .

هكذا ذكر منسا موسى صراحة في القاهرة أنه مالكي المذهب ، لذلك سعى إلى دعم هذا المذهب في بلاده يتضح ذلك من خلال استغلال فترة إقامته في القاهرة أثناء تلك الرحلة وقيامه بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي.[٣] والراجح أن من أهم الكتب التي اقتناها كتاب "الموطأ " للإمام مالك بن أنس ، و"مدونه" الإمام سحنون فقيه إفريقية، بالإضافة إلى كتاب" مختصر خليل" .

حرص منسا موسى أيضاً على الإلتقاء بفقهاء المالكية في مصر ، و حرص على دعم الصلة بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، ومنهم القاضي المالكي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى [٤] المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م)، والذي كانت له اليد الطولي في الفقه المالكي حتى أصبح إمام هذا الفقه في مصر ، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية [٥].

١- السعدي : مصدر سابق ، ص٧ ، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٥ .
٢- المقريزي مصدر سابق ، ص١٤٢.
٣- المقريزي : المصدر السابق ، ص١٤٣ ،
Levtzion, N: Islam in west Africa Religion societyand poligion to 1800,varioum,London,1999, p185-186.
٤- العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤، ٧٥.
٥- ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص٢٨٣.

كما التقى أيضاً منسا موسى مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضى المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجه منسا موسى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حالة المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها له لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحا لمختصر أبى الحسن الطليطلى في الفقه المالكي[١] ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح ، والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده[٢] .

وهكذا أسهم منسا موسى في ذيوع المذهب المالكي بالإضافة إلى انتشاره في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية .

واصطحب منسا موسى معه كذلك من أرض الحجاز عند عودته من رحلة حجه عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٩م) الفقيه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الغرناطي الساحلي[٣] الذي قابله هناك وتوثقت العلاقة بينهما بعد أن ظهرت له

---

(١) أبو الحسن الطليطلى : هو على بن عيسى بن عبيد التجيبى ، عاش خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم فى قرطبة وطليطله وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٦، ص١٧٢،١٧١ . أبن فرحون: مصدر سابق ،ص٢٩٥،٢٩٤.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٤ .
Hunwik, J.o :secular power and Religius Authority in Muslim society, the case of songhay , the Journal of African History ,vol.٣٧,No.٢ (١٩٩٦),p١٧٧.

(٣) هو : " أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي " ويلقب با لطويجن ، ولد بغرناطة ، ونشأ

براعته في عدة فنون منها مهارته العلمية والأدبية والفنية المتعددة حيث كان أديبا و شاعراً[١] . كما كان فقيهاً موثقاً ومهندساً معمارياً بارعاً موهوباً يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه وينفذها على أتقن الوجوه ، وبالفعل ذهب معه وسكن مدينة تنبكت حتى توفى بها عام(٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)[٢].

كما أصطحب منسا موسى معه كذلك العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي[٣] الحجازي الذي سكن تنبكت ، فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي[٤]، فرحل إلى مدينه فاس ، وتفقه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته بعد أن ترك أبناءً وأحفاداً أسهموا في نشر المذهب المالكي ، ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أواخر دولة مالي[٥] .

ولم يكن عبد الرحمن التميمي الوحيد الذي ذهب للتفقه في المذهب المالكي في مدينة فاس، وقد قام منسا موسى بإيفاد عدد من طلبة مالي للمراكز الثقافية ببلاد

فيها انظر، محمد بن شريفة :" من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان " إبراهيم الساحلي دوره الثقافي في مملكه مالي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ١٩٩٩م ،ص٨٣،٨٢ ،٨٤.

(١) محمد بن شريفه : مرجع سابق ، ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق :ص ١٠٣.

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص٥١ ، أحمد بيير الأروانى : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، ط١، ٢٠٠١م ، ص٩٣ ،٩٤.

(٤) المصدر السابق ، ص٩٤، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسى أذا جاء فقهاء سنكرى للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكرى كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان شافعي المذهب ، ولهذا تفوق علية فقهاء تنبكت المالكيين ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢٢٥.

(٥) الاروانى : مصدر سابق ، ص٩٤ ، ،٩٥.

المغرب ، ويقول يوسف كيوك بهذا الصدد ، إذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة ، فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس[١] ، ولكن المصادر لم تحتفظ لنا إلابشخصية كاتب موسى[٢] أي الذي كان يتولى وظيفة الكتابة لمنسا موسى الذي أرسله إلى مدينة فاس لطلب العلم والفقه المالكي على يد كبار الفقهاء الفاسيين .

وتشجيعاً لسياسة منسا موسى على استقدام الكثير من الفقهاء من المغرب والحجاز إلى دولته ،استقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالى[٣].وقد قامت بينهما علاقة صداقة قوية أثناء وجوده بفاس ، فاصطحبه هذا الكاتب معه إلى مالي وسكن البلبالى مدينة تنبكت ، وكان عبد الله البلبالى أول من تولى إمامة المسجد الجامع من المغاربة[٤]. والراجح أن هذا الإمام قد أسهم في ذيوع المذهب المالكي وانتشاره فترة إقامته في تنبكت .وإلى جانب كاتب منسا موسى هناك العديد من الفقهاء الذين تفقهوا في المذهب المالكي وأسهموا في انتشاره ، ومنهم الشيخ مؤدب محمد الكابرى الذي استقر بتنبكت ، وقرأ عليه العديد من طلاب العلم[٥] والذي

---

(١) j .cuoq : L ; Islumisation ,op .cit .p ١٠٩

(٢) هو :الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالما عادلا ، أنظر ،الأروانى : مصدر سابق ،ص٩٣ ،٩٤، ص١٢٣ .عاش في منتصف القرن الثامن الهجري ، السعدي ، مصدر سابق ، ص٥٧ .

(٣) هو : "عبد الله البلبالى ويقول السعدي:"هو جد جدتي أم والدي"جد السعدي"وهو أول البيضان، صلى بالناس في ذلك المسجد في أواخر دولة الطوارق وفى أوائل دولة.سني على ثم جاء إلى تنبكت صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسا موسى لما رجع من فاس .وخلفه في الإمامة "أنظر السعدي :تاريخ السودان ، مصدر سابق ،ص٥٨ ، وكذلك ،أبو عبد الله الطالب محمد بن أبى بكر الصديق البرتلى الولاتى ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم ، محمد حجي ،دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،ص١٥٨، ١٥٩ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٥) قرأ عليه الفقه العديد من طلاب العلم منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت ،أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨.

عاصر كثيراً من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم عبد الرحمن التميمي الذي جاء إلى مالي صحبة منسا موسى ، كما كان معاصراً للفقيه أندغم محمد الكبير[١].

ومن الفقهاء الذين ساهموا في انتشار هذا المذهب الفقيه الثقة أبو عباس سعيد الدكالي والذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة و الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى[٢]، وكذلك الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وانسول الذي تولى خطة القضاء في مدينة جاو[٣] ، والفقيه عبد الرحمن الذي كان قاضيا في نيانى العاصمة أيام منسا سليمان[٤] . كما أسهم الفقيه المفتى الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبى بكر بن الحاج في ذيوع هذا المذهب خاصة أنه تولى القضاء في تنبكت زمن دولة مالي[٥] ، وغيرهم كثير من الفقهاء الذين تفقهوا على فقه الإمام مالك ،

Usman Muhammad bugE: cit,op ,pvvv٨.

(١) هو:"الفقيه أبو عبد الله أندغم حمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنة تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا .فهو عالم جليل قاضى المسلمين ، قال عنه أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي" لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .،أنظر السعدي : مصدر السابق ،ص٢٧، وكذلك أنظر أبو بكر اسماعيل: مرجع سابق ، ص١٩٤.

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ص٦٧٤.

Hunwickm, J.o ; The Mid-Fourteenth Centuryi Capital of Mali The Journal ,of African History,vol.١٤,No.٢(١٩٧٣)p١٩٦٠ .

(٣) وهو من أهل سجلماسة ، وقد عاصر ابن خلدون وصادقه، و أمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ، أنظر ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٦ .

(٤) وهو فقيه من السودان ، وقابله ابن بطوطة أثناء رحلته وأثنى علية كثيرا ، أنظر :ابن بطوطة ، رحلته ، ص٦٧٠

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧، ٢٨.

وكان لظهور هذا العدد من الفقهاء سبباً من أسباب ذيوع المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية[١].

وعلي أية حال تعد فترة منسا موسى فترة حاسمه في تاريخ المذهب المالكي في السودان الغربي ، فقد أدت جهوده المتعددة إلى ذيوع المذهب المالكي في دولته . وقد سار على نهجه في دعم ومساندة المذهب المالكي أخوه منسا سليمان (٧٤١ـ٧٦١هـ / ١٣٤١ـ١٣٦٠م)الذي كان متفقهاً في هذا المذهب[٢] .

وقد تعددت جهود منسا سليمان لنشر المذهب المالكي ودعمه ، منها قيامه بدعوة عددٍ من فقهاء هذا المذهب إلى بلاده[٣] ، ساعد على ذلك العلاقات الودية بين دولته والدولة المرينية في المغرب الاقصي[٤]. وقد أسهم في دعم المذهب المالكي في إمبراطورية مالي نزوح عدد كبير من فقهاء فاس إلى إمبراطورية مالي ، وقد التقي ابن بطوطة بعدد من فقهاء المغاربة أثناء رحلته إلى مالي[٥] .

وامتدت جهود منسا سليمان لدعم المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية إلى بناء المساجد والجوامع التي أصبحت منارة لتدريس الفقه المالكي ، وتأتى شهادة

---

(١) ويقول العمري : " وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وبقى بها سلطان المسلمين ، وتفقه في الدين .."أنظر العمري : مسالك الإبصار ، ص ٥٩.، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥، ص ٢٩٧.

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٥٩.

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) عن علاقة الدولة المرينية بدولة مالي أنظر : ابن مرزوق "محمد بن مرزوق التلمسانى المتوفى عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م" : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبى الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيعبرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨١م، ص٤٥٤، أبن خلدون :مصدر سابق ،جـ٢، ص ١٨٩٦ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢٧٩،٢٧٢.

(٥) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص٦٤٧، ٦٧٧، ٦٧٨.

حسن الوزان لتؤكد هذا الأمر إذ يقول : " ولملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس "[١] .

وقد أعانت هذه المساجد الفقهاء والخطباء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المنابر، بالإضافة إلى دروس الوعظ بعد الصلاة مما يؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على أداء تلك المساجد لدورها الفعال في نشر المذهب المالكي ، بالإضافة إلى تفقيه الكثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم ، حيث كان أبناء هذا المجتمع حريصين كل الحرص على طلب العلم ، متعطشين لتعلم الفقه مع شدة حرص على أداء العبادات والمواظبة عليها ، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك بنفسه أثناء زيارته لدولة مالي[٢] .

كما كان للعلاقات السياسية بين حكام مالي و المرينيين أطيب الأثر في دعم الصلات الثقافية بين الدولتين ،وترجع بداية هذه العلاقة بين عامي (٧٢٣ـ٧٣٧هـ/ ١٣٢٣ـ١٣٣٧م) وكانت هذه العلاقة عاملا من عوامل انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي ، وخاصة في عهد منسا موسى الذي نشأت بينه وبين أبى الحسن المريني(٧٣٠ـ ٧٤٩ / ١٣٣٠ـ١٣٤٩م) علاقة طيبة بالإضافة إلى عظمة ملكيهما ويفضل خصالهما الحميدة التي تنبع من حب الدين الإسلامي والمحافظة على شريعته ، كما كانا يشتركان في حبهما واحترامهما لأهل التدين والعلم ، والحرص على مصالح المسلمين أينما كانوا[٣] .ونضيف إلى ذلك الاعتبارات الاقتصادية لتعطى علاقاتهما مرتكزات أكثر قوة بالنظر لما توفره التجارة الصحراوية

(١) الوزان " الحسن بن محمد الوزان الزياتى "٨٨٨ـ٩٥٧ هـ/ ١٤٨٣ـ١٥٥٠م ":وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٣٩.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣، ٦٧٧.

(٣) ابن مرزوق : مصدر السابق ، ص ١٣٣، ١٦٩.

من أموال لخزائنها . ولذلك كان هناك أكثر من سفارة وهدايا متبادلة[١] ، ومن هذه السفارات سفارة منسا موسى إلى أبى الحسن المريني لتهنئته بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد ، وكان هذا في عام (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)[٢].وأحسن أبو الحسن المرينى استقبال هذه السفارة ، كما قام بالرد عليها بسفارة إلى حاكم مالي منسا موسى لكنها وصلت بعد وفاته ، فأستقبلها منسا سليمان عام(٧٤١هـ / ١٣٤١م[٣]. وقد فاقت هديته في تلك السفارة هديته إلى الناصر محمد بن قلاوون[٤] وعندما عادت السفارة المرينية رافقها وفد من رجال دولة مالي ، جاؤوا إلى أبى الحسن " يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ، ويؤدون حق خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته"[٥] ،ونكتفي هنا بتسجيل حسن سياسة أبى الحسن إزاء حكام مالي وكيف استطاع كسب ود وصداقة حكامها باللين والكلمة الطيبة " أو ليسوا إخوة في الدين حتى لِتُعانِق فاس نياني وتحضنها وترعاها بحق أسبقيتها للإسلام "[٦].

كما كان هناك سفارة أخرى بعد أن ضم أبو الحسن المرينى بلاد ومُلكَ الحفصيين إلى ممتلكاته، وحيث مهد إفريقية ودخل تونس العاصمة عام(٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م) فانتهز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة للسلطان المرينى بمناسبة فتحه الجديد[٧].واستمرت العلاقات الودية بين مالي و المرينيين في تفاعل مستمر فخرج

---

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٢) ابن مرزوق : مصدر سابق ،ص ٤٥٤

Levtzion ,N: Islam in west Africa, p ٣٤٩٣٥٠.

(٣) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤.

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٦.

(٥) ابن مرزوق :مصدر سابق ، ص ٣٥٥ ،٣٨٥ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع ، ص٢٧٤.

(٦) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧.

(٧) ابن خلدرن :مصدر سابق ،١٨٩٦

Levtzion ,N : op,cit ,p٣٥.

ابن بطوطة من فاس متوجها إلى مالي عام(٧٥٢هـ/ ١٣٥٢م) وتصادف وجوده في مالي أثناء وفاة أبى الحسن فحضر مراسم عزاء أبى الحسن الذي أقامه منسا سليمان ترحما على روحه وكان هذا لعظيم مكانته عنده[١].

وقد استغل حكام دولة مالي الإسلامية تلك العلاقات الودية في دعم الحياة الدينية والثقافية في دولتهم ، فأوفدوا طلاب العلم إلى فاس عاصمة دولة المرينيين[٢] وخاصة إلى

جامع القرويين[٣] ، والمدارس الوقفية التي بنيت في هذا العصر ، حيث شهدت الدولة المرينية بناء العديد من المدارس الأخرى[٤] مما كان سبباً في رحيل كل طالب علم إليها لدراسة الفقه المالكي.

كما تعد اللغة العربية من أسباب انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي الإسلامية أيضا . واللغة العربية بصفتها لغة هذا الدين الإسلامي قد تغلغلت في

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٧.

(٣) جامع القرويين الذي صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس يرجع إلى عهد الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة ، الذين ارتبطوا بالأندلس ، رغبة منهم في إقامة علاقات وثيقة ، وقد اشتهرت مدينة الضفة الغربية لوادي فاس باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وأعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الادارسة الحقيقي ، أنظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، جـ٢ ،ص٥١٢.

(٤) مثل مدرسه الحلفائيين التي بناها في عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٥م، السلطان أبو يوسف يعقوب المرينى "٦٥٦ ـ ٦٨٥هـ / ١٢٥٨ـ١٢٨٦م" ، كما أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى "٧١٠ـ٧٣١هـ/ ١٣١٠ـ ١٣٣١م" ببناء مدرستين الأولى مدرسه فاس الجديدة والتي أكتمل بناؤها عام "٧٢١هـ ـ/ ١٣٢١م" ، والثانية مدرسه العطارين التي بنيت عام "٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م" ، للمزيد عن مدارس فاس ، أنظر دكتور حسين مراد :الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المرينى ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٨٤، ٩٣.

أعماق المجتمع المالي كله ، بسبب ذلك التأثير الإسلامي القوي الذي شمل سائر الحياة العامة . وأصبحت هذه اللغة لغة رسمية فغدت لغة التخاطب والتجارة في ربوع المدينة والأقاليم المجاورة لها ، خاصة بها عندما استقرت العائلات العربية والبربرية مع مرور الزمن في مالي ، وكونت أحياء خاصة في تلك المنطقة[١].هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الشعوب الإفريقية قد ادعت الأصول الشريفة ، كما أن مؤلفات كبار فقهاء المالكية كانت تدرس في مالي ، مما سمح لأهلها أن ينهلوا من معين اللغة العربية ، ويتعمقوا في دراستها مما أتاح لهم قراءة مؤلفات كبار فقهاء المذهب ودراستها .

كما استخدم سكان دولة مالي الإسلامية اللغة العربية كلغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم ، الأمر الذي مكّن للغة العربية من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية من خلال دخول الكلمات ذات الأصل العربي في تلك اللغات المحلية . من أجل هذا لم يُخطئ سير توماس أرنولد حين قال منصفا : " بلغت اللغة العربية وهى لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يردف ذلك بقوله : "وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية "[٢].وبهذا ساعدت اللغة العربية سكان السودان الغربي في الانفتاح على العالم الإسلامي الذي أصبح مفتوحاً أمامهم .

ولقد كان تأثير اللغة العربية وانتشارها بين أهالي بلاد السودان الغربي حكاما ومحكومين كبيراً، ويتأكد لنا مدى إتقان الحكام للغة الغربية في بعض الأبيات

---

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين وآخرين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤٩. ، إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، دار النصر للطباعة ، ص ٣٣، ٣٤ .

الشعرية التي انشدها إبراهيم الساحلي في مكة المكرمة وأعجب به منسا موسى . ونستفيد من ذلك أنه كان يفقه العربية ويتذوق الشعر العربي[١].كما جاء في مسالك الأبصار أن هذا السلطان كان يجيد التكلم باللسان العربي ، ولكنه حينما كان في مصر لم يكن يتحدث مع الرسميين إلا بواسطة ترجمان[٢].

ومن الأدلة كذلك على انتشار اللغة العربية شواهد القبور التي اكتشفت في منطقة تادمكة[٣] والتي ترجع إلى عام(٤٠٠هـ/ ١٠٠٦م)[٤]، بالإضافة إلي شواهد القبور المكتشفة قرب مدينه جاو والتي يرجع تاريخها أقدمها إلى (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)[٥] لتؤكد أن بدء انتشار اللغة العربية يرجع إلى ما قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[٦].

وإذا كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة فقد كانت أيضاً لغة الحكومة والمراسلات السياسية ، فمراسلات منسا موسى إلى سلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كانت تكتب بهذه اللغة . كما كان بلاط منسا سليمان يعج بالفقهاء

---

(١) محمد بن تشريفه : من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، ص ٩٢.

(٢) العمري : مسالك الأبصار ، جـ٤ ، ص ٧١.، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٩٥.

(٣) تادمكة : معنى الاسم هبة مكة ، وهى أشبه بمدينة مكة ، وهى مدينة كبيرة وأحسن غناء من مدينة غانا ، وجاو أهلها بربر مسلمون ، والمسافة بينها وبين القيروان خمسون يوما ، أنظر : البكري : المسالك والممالك ، جـ٢ ، ص٣٧٠، ٣٧١.

(٤) Hunwick , j :op.cit .p١٦.

(٥) Fernando , Palo : histoire contre memoire epigraphie chronlques tradition orale et lieux d,oubli da ne le Sahel mallen , putication del ,institute des etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.p١٨

(٦) Hunwick , j :op.cit .p١٦.

المغاربة الذين أقاموا في دولته أو الذين دعاهم إلى بلاده لتدريس المذهب المالكي[١] كما كان الخط العربي الذي نجده في هذه البلاد هو الخط الذي يطلق علية الخط المغربي[٢].

وهكذا تعددت الأسباب التي أدت إلى ذيوع المذهب المالكي وانتشاره في بلاد السودان الغربي في زمن دولة مالي الإسلامية . وبزوال تلك الدولة من مسرح الأحداث التاريخية[٣] ، انتقلت السيادة على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صنغى

---

(١) القلقشندى : مصدر سابق ، جـ ٥، ص٢٩٧.

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤.

٣- بدأ سلطان دولة مالي الإسلامية في أفول مستمر نتيجة للصراع على السلطة وتفاقم الخلافات الأسرية بعد وفاة منسا موسى ، وقد زاد الأمر سوءاً انفصال صنغى في عام(٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ولم يفلح منسا سليمان في استعادتها ، كما باءت محاولات منسا موسى الثاني(٧٧٦ـ٧٨٩هـ/ ١٣٧٤ـ١٣٨٧م)الرامية لإعادة صنغى إلى حظيرة مالي بالفشل ، حيث فشل وزيره القوى مارى جاطة في إخضاع أقاليم صُنغى الواقعة بالقرب من جاو ، وكذلك أخفق في السيطرة على طوارق تكدا ، والجدير بالذكر أن ملوك صنغى الذين خلفوا زاكسى الذي أسلم طوعا في مطلع القرن الحادي عشر كانوا يحملون لقب ذا ، وهم ينتمون إلى عائله ضياء التي جاءت من طرابلس واستقرت في جهات نهر النيجر ، وكان ملوك صُنغى خاضعين لنفوذ مالي خضوعا واهيا ،أنظر Trimingham,op.cit,p٩٢/٩٦.

إلي أن انتزع على كولن حرية صُنغى في عام "٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م "، متخذا لنفسه بدلا من لقب ذا لقب سني ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص٣، هذا وقد ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة وحتى عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) بعد أن أسست دولة صنغى الإسلامية كدولة استوعبت مناطق مترامية الأطراف ، وأخضعت شعوباً مختلفة ، لم يتحقق إلا في عهد سني على (٨٧٠ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٥ـ١٤٩٢م)، وسني على كان الحاكم رقم خمسه عشر في سلسلة ملوك عائلة سني التي هي من عائله ضياء الأمازيغية الطرابلسية ، أنظر عبد القادر زباديه ، مملكه سنغاى في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ص٢٧، فقد خلف ولده سني مادوجو الذي كان عسكريا مقتدرا والذي أورثه خبرات واسعة في هذا المجال الحربي ، وتمكن سني على من إخضاع جميع المناطق الواقعة على منحنى نهر النيجر حتى مدينه جني الإستراتيجية ، كما توسع في أقاليم كوروما وشمال ياتنجا ويانجارا ، غير أنه وجد مقاومه عنيفة من قبائل الموسى ولم تتم له السيطرة عليها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ،ص٤٥ ،

الإسلامية وفي عهدها تحققت السيادة للمذهب المالكي وخاصة في فترة حكم الأساكى(٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٢-١٥٩١م).

سيادة المذهب المالكي في صُنغى[١]:

يري الناظر لدولة صُنغى أنها من أطول الدول عمراً ، فقد بدأت بذورها في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وهى بذلك عاصرت دولة غانة ودولة مالي الإسلامية ، وانتهت هاتان الدولتان وبقيت صُنغى على مسرح الأحداث واستمرت تقوى باستمرار وتتوسع ، حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث انتهت بحملة المغاربة على البلاد عام(١٠٠٠هـ / ١٥٩١م)[٢].

وقد أصبحت مدينة (جاو) عاصمة لها منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وتقع هذه المدينة عند منحنى نهر النيجر ، وقد أصبحت هذه المدينة من أهم مراكز التجارة والثقافة في السودان الغربي ، وهى تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر[٣] .أما قبل ذلك فقد كانت عاصمتهم الأولى (كوكيا)

Michel A. Gomez: Timbukta under Imperial songhay, areconsi duration of aunomy , Spellman college , Atlanta journal of African history ١٩٩٠,printed in great Britain vol ,٣١, p٦-٨.

(١) نسبة إلى قبيلة صُنغى ، وهى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر ، وفى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي ١٥٩ كلم ، وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن ، وفى هذا الوقت بدأ انتظام شعبها تحت سلطة واحدة ، أنظر : عبد القادر زيادية : مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية وغربيها ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، ص ١٠٩،

Gerrit J : Dimmendaal: Lexique dendi (songhay) (Djugou,benin)avec un index francais _dendi by petr zima ,Journal of the International African Institute,vol.٦٦,no.٤/١٩٩٦, p ٣٦٢.

على نهر النيجر الأدنى ، وهى تبعد عن (جاو) قرابة مائة وخمسين كيلومتراً إلى جهة الجنوب[١] .

وقد حكمت صُنغى في البداية أسرة مؤسسها الأول هو ديا (ضياء) وأصله من اليمن[٢] والتي ظلت تحكم هذه البلاد حتى عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) . ثم انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني التي حكمت بين عامي (٧٣٦ـ٨٩٩هـ / ١٣٣٥ـ١٤٩٩)وعائلة سني[٣] هي فرع من فروع عائلة ضياء السابقة الذكر ، وقد تولت عائلة سني الحكم عندما استقل بُصنغى على كلن وكان هذا في عام(٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وفصلها عن دولة مالي الإسلامية . إذ إن صُنغى كانت خاضعة لدولة مالي منذ عام(٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)حيث كان علي كولن يعيش هو وأخوه سليمان نار في عاصمة دولة مالي الإسلامية[٤]إلى أن استطاع الأخوان الهرب

---

(١) عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص ٢٥، ٢٦.

Hunwick,J.o : gao and the Almoravids Revisited : Ethnicity ,political Change and the limits f Iterpretin ,The Journal of African history ,vol.٣٥,No.٢١٩٩٤,p٢٥٢.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٤.

Hunwick,J.o : IdeL ,p ٢٥٣.

(٣) لقب " ذا " لقب "سني " بمعنى المحرر ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص٣. بينما يرى الدكتور الأمين عوض الله أن لقب سني لا يستبعد أن يكون على كولن قد أتخذ هذا اللقب ليظهر التزامه بسنة الرسول الكريم وعليه ، يكون لقب "سني " مشتق من السنة المحمدية ، أنظر : الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩م ، ص٦٦.

(٤) تطورت دولة مالي الإسلامية ، وعند عودة منسا موسى من رحلة حجه الشهيرة "٧٣٣هـ/ :١٣٣٢م" رأى أن يثأر من صُنغى فعرج على عاصمتها جاو ، وكان ملكها قد مات حديثا وخلف ولدين صغيرين هما على كولن وسليمان نار ، فأخذهما منسا موسى معه إلى عاصمته ، ويعلل السعدي ذلك بقوله : " إنه أخذهما للخدمة عنده على عاداتهم فيما يختص بأبناء الملوك الذين في طاعتهم "أنظر السعدي ، تاريخ السودان ، ص٦.

عندما بلغا مبلغ الرجال من دولة مالي ولجأ كلاهما إلى العاصمة جاو[١] حيث لقيا الإخوان ترحيبا من الأهالي الذين استقبلوهم استقبالا كبيرا تعبيرا عن تأييدهم لهما. وبالفعل تم طرد الجنود التابعين لدولة مالي الإسلامية ، ثم كانت المعركة الفاصلة التي دارت عام(٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م) . بين دولة مالي وصُنغى والتي انتهت باستقلال الثانية عن حكم سلاطين دولة مالي ، وبذلك تكون صُنغى قد حصلت على استقلالها التام[٢] . وعين على كولن نفسه ملكاً على دولة صُنغى الناشئة ، وقد حكم من هذه الأسرة ثمانية عشر أميراً[٣].

وهكذا ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة حتى عام(٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) حيث دخلت صُنغى في طور الدولة الكبرى القوية حيث استوعبت مناطق مترامية الإطراف وأخضعت تحت سيادتها شعوباً مختلفة ، و كان هذا في عهد على بير الكبير سني على (٨٧٠ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٥ـ١٤٩٢م) . حيث قام بتأمين حدود دولته من الناحية الشرقية[٤].

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) فيج جى . دى : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة سيد يوسف نصر ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ٦٢.

(٣) منهم ، (١) على كلن ، (٢)سليمان نار ، (٣) إبراهيم كاباى ، (٤) عثمان كانافا ، (٥) بارى كينا ، (٦) محمد دع ، (٧) محمد كونيجيا ، (٨) محمد فارى ، (٩) كاريبفو ، (١٠) مارفى كول ، (١١) مارى هاى ، (١٢) ماردانو ، (١٣) سليمان دام ، (١٤) على بير ، (١٥) بارى دع ، (١٦) سني مادو جو ، (١٧) سني على ، (١٨) أبو بكر داعو ، وكان هذا أخر حكام أسره سني على ، حيث آل الحكم إلى أسره جديدة وهى أسرة الاساكي وكان ذلك في عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣) و للمزيد أنظر : عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى ، ص ٢٦.

(٤) عندما تولى سني على مقاليد الأمور كانت دولة مالي الإسلامية تحتضر من الضعف الداخلي والضغوط الخارجية التي جاءت في المقام الأول من ملوك صنغاى وقبائل الموشى ، فسارع سني على بالتهام أملاك دولة مالي الواحدة تلو الأخرى ، وتقدم شرقا فأخضع إمارات الهوسا وكاتسينا وجوبر وكانو وزنفارة وزاريا ، وعرج غربا حتى استولى على بلاد الماندنجو والفولاني ، وشمالا حتى موطن الطوارق ، أنظر أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، جـ٦ ، طـ٤ ، القاهرة

وتمكن سني علي هذا من إخضاع جميع المناطق الواقعة عند منحنى نهر النيجر وحتى مدينة جني[١] ، كما سيطر على مدينة والانه وإقليم التكرور حتى المحيط الأطلنطي ، وبلغت دولة صنغى بذلك اتساعاً لم يسبق أن بلغته من قبل ، مما نتج عنه زيادة قوتها واتساع سلطانها السياسي والاقتصادي ، وبذلك يكون سني علي بتلك الحروب والانتصارات نجح في أن يكون صاحب الفضل في تحويل مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية إسلامية كبيرة تضاهى أكبر إمبراطوريات ذلك الوقت[٢].

بعد وفاة سني علي عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) ، تولى ابنه الأكبر أبو بكر داعو الحكم بوصفه وريثا شرعياً للحكم في بلدة دنغ عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) . ولكن لم يمتد حكمه للبلاد سوى بضعة أشهر ، حيث قام القائد محمد توري[٣] أحد قادة جيوش سني علي بانقلاب ضده للاستيلاء على الحكم عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) .

مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م ، ص ٢٦٢.

(١) مدينة جني : تقع جني على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بني ، أحد روافد نهر النيجر ، وتقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغطيه المياه في الخريف ، ويبدو أن تأسيس مدينة جني كان حوالي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو قبله ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص ١١ ، أبن الوزان : وصف أفريقيا ، ص ٥٣٧.

Roderick.J: McIntosh and Susan Keech McIntoshFrom Siecles Obscurs to Revolutionary Centuries on the Middle Niger Author(s) World Archaeology, Vol. ٢٠, No. ١, Archaeology in Africa (Jun., ١٩٨٨), pp١٤١-١٦٥

,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.

(٢) محمد أنور توفيق : دولة سنغاى الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٩.

(٣) هو " القائد محمد توري بن أبي بكر" كان من أصل سوننكى ،كما كان ضابطاً بارزاً من ضباط جيش سني علي بارو ، قام بحركة انقلاب بعد وفاة سني علي ، و اتخذ لنفسه لقب الاسكيا ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص٧١، ٧٢.

وبانتهاء حكم أسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون[١] قامت أسرة حاكمة جديدة عرفت بلقب جديد هو (الأساكى)[٢]، ويعتبر تسلم الأسكيا محمد عرش دولةُ صنغى الإسلامية بداية عهد انتظام المملكة وبداية سيادة المذهب

المالكي زمن الأساكي وقد تحققت السيادة في دولةُ صنغي لعدة عوامل سوف نعرض لها الأول منها هو جهود بعض حكام دولةُ صنغى وخاصة أسكيا محمد الكبير(٨٩٨ ـ٩٢٤هـ / ١٤٩٢ـ١٥٨٢م)[٣] ،وابنه أسكيا داوود(٩٥٦ـ٩٩١هـ / ١٥٤٩ـ١٥٨٣م) اللذيْن عملا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهما ومنحوهما حرية مطلقة . وتنص المصادر التاريخية على أن الأسكيا محمد الذي كان مالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته، ساعده على ذلك أسرته الصالحة التي نشأته في بيئة علمية أدت إلى تحمسه لعقيدته الإسلامية ولمذهبه المالكي ، فأبوه كان من العلماء وأمه كانت صالحة تقية[٤]، وقد وصلت به

---

(١) Hunwick,J.o : Gao and the Almoravids Revisited,٢٥٤.

Usman Muhammad bugE: cit,op ,p٨٥.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧١، ٧٢. الاساكى : " أتخذ محمد توري لنفسه لقب "الاسكيا" ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته ، ويشير السعدي إلى سبب هذه التسمية ، بقولة : "...ولما بلغ الخبر بنات سني على قالت أسكيا معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا أسكيا "ومعناها المغتصب لأنة أغتصب السلطة من أبى بكر داعو ، وهذا اللقب اشتهرت به الأسرة التي أسسها.

(٢) Alice Louise Wiilard: The Songay in the West African world-System, A dissertation submitted to The Johns Hopkins University in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Baltimore, Maryland,١٩٩٩,p٣٠٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١، ٧٢.

R. W. Niezen: The 'Community of Helpers of the Sunna': Islamic Reform among the Songhay of Gao (Mali) Africa: Journal of the International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠), p. ٣٩٩

(٤) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٩.

العاطفة الدينية الإسلامية إلى أن أرجع نسبه إلى الصحابي جابر بن عبد الله الانصارى المتوفى عام (٧٨هـ / ٦٩٧م) ولهذا نشأ غيوراً محباً لدينه مصلحاً تقياً حتى إنه شكل دولته على أسس الشريعة الإسلامية[١].ولذلك يعد من أعظم ملوك الصنغى فقد " فرج الله به على المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب ، حيث اجتهد في إقامة الملة وإصلاح أمور الأنام ، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"[٢] .

وبفضل أسكيا محمد تخلصت البلاد من حكم عائلة سني على ، وكان بعض حكام هذه العائلة من المتمسكين بالتقاليد الوثنية لذلك خرج أسكيا محمد على حاكم الدولة المدعو سني بارو عام(٨٩٨/ ١٤٩٤ـ١٤٩٣م)لأنه كان كوالده سني على(٨٦٩ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٤ ـ١٤٩٢م) متمسكاً بالتقاليد الوثنية ومهملا لقواعد الشريعة الإسلامية . فالأب سني على كان يغلب عليه طابع البداوة ، كما كان فاجرا ظالما متلاعبا بالدين وفقا لما ذكره كعت والسعدي[٣] حيث حاول التوفيق بين الأنماط الإفريقية المرتكزة على السحر والشعوذة ، وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية . ولذلك خشي من علماء تنبكت أن يهددوا نفوذه باسم الدين، الأمر الذي جعله يضطهدهم ويعاملهم بقسوة[٤] ' مما كان سبباً لهربوهم من مدينة تنبكت إلى مدينه ولاته[٥] .

---

(١) Hunwick, j :Songay Borno and Housland in sixtath century, book history of west Africa; vol٢ second edition ,London ١٩٧١,p٢٤.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٣.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣، ٤٤، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٧.

(٤) Trimingham .op .cit ,p.٩٤

(٥) يؤكد بعض المؤرخين أنها أسست منذ قرون عديدة تحت اسم بيرو ، وأنها كانت على صلة قوية بإمبراطورية غانة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، قبل أن يتم تحويل أسمها إلى ولاته في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر، في هذا الصدد أنظر
unesco : patrimoine culturel de I,humanite ,bulletein d,informntion ne

وقد توفى سني علي في ظروف غامضة عام (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م) أثناء عودته من حملة ضد بلاد كرم[١] بعد أن بقى في الحكم حوالي سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة وعشرين يوما[٢] وتم تنصيب ابنه الأكبر أبي بكر داع في عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) في بلدة دنغ خلفا له[٣] ، ولكن حكمه لم يمتد سوى بضعة أشهر حيث حاصرته التحديات منذ الوهلة الأولى ، فقد تطلع أحد قادة جيوش والده للحكم وهو محمد تورى بن أبى بكر الذي حشد قواته وعمل على استقطاب العلماء والأنصار إلى جانبه مستفيدا من ممارسات أبى بكر داعو التي كانت لا تتفق مع روح العقيدة الإسلامية . فقد بدأ أبو بكر داعو يستمد سلطته من السحر والشعوذة والتقاليد الوثنية ، ولذلك اعتبره صاحب الفتاش في عداد الكفرة[٤]وانتهز القائد محمد تورى عدم التزام أبى بكر داعو بالتعاليم الإسلامية فخرج عليه، و جعل ذلك مبرراً لإقصائه . ونتيجة لذلك أرسل إليه محمد تورى أحد كبار الفقهاء وهو الفقيه العالم الصالح محمد تل الشريف ، يدعوه للإسلام ونبذ التقاليد الوثنية وإعلان ولائه للإسلام كدين للدولة[٥] .

٢٣-٢٤, ١٩٨٣,p.٢٤.

أما سكانها فيعتقدون أن تأسيسها سابق لظهور الإسلام وأنها فتحت علي يد عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، والذي يوجد قبر أبنه العاقب بن عقبة بالقرب من مسجدها بحسب ماتوارثوه من روايات ، أنظر الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط ، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجماعات البدوية المتنقلة "المحاضر " مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٧، ص ٦٥.

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ،ص٥٣، ٥٤.

(٣) نفس المصدر : ص٥٢، السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٣، ٥٤.

(٥) أرسل الاسكيا محمد الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى شي بار يدعوه إلى الإسلام وهو في بلدة أنفع فأبى وامتنع وأغلظ للفقيه بالكلام وأرتكب فيه امراً عظيما حتى هم بقتله وصده الله عن ذلك بقهره

وعندما رفض أبو بكر داعو الاستجابة لدعوة محمد تورى التقى به الأخير في معركة حاسمة بالقرب من جاو عاصمة صُنغى ودخل القائد محمد تورى العاصمة جاو عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) ، وبهذا تمت الإطاحة بحكمه وبحكم سلالته لدولة صُنغي والذي استمر زهاء التسعة قرون[١].

وقد أدى قضاء محمد تورى على أسرة سني على ، إلى اعتلائه عرش دولة صُنغى[٢] واتخذ لدولته مظهراً إسلامياً في كل معاملاتها ، كما كان متحمساً للإسلام وللفقهاء ، كل هذا أدى إلى تعميق الوجود الإسلامي في الدولة ، وأدى إلى ارتفاع شأن فقهاء المالكية الذين عادوا إلى مدينه تنبكت التي كانوا قد فروا منها زمن

وغلبته ورجع إلى الأسكيا محمد وبلغه الخبر من أبيه شي بار وما فعلة به ،وبعد ذلك أرسل أسكي محمد الفقيه صالح جور إلى وشى بار ثانيا وأتاه وبلغة رسالة أسكي محمد فما أزداد إلا عتوا و أبآية وامتناعا وتجبرا وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار علية وزراؤه بقتل هذا العالم حتى وقال له أذهب بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولا يرسل لك مرة ثانية ، ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فأن رجع إلى بعد رسول منه فدمه في عنقك ، وذهب للأسكيا محمد وأخبره ما حدث ومدى أبايته من الدخول في الإسلام ، جمع الاسكيا محمد أهل مشورته من العلماء والأكابر وشاورهم في أمرة فأشاروا علية بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت ،فأمتنع وزاد أبآية وأمر بضرب طبول الحرب وذهب وبلغ الاسكيا محمد بما حدث وأستعد للحرب وبايعه الجميع على الموت . أنظر محمود كعت :الفتاش ، ص٤٤، ٤٥ ، ٤٦.

(١) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها للعربية محمد الفندى ، أحمد الشتناوى، وآخرون ، تهران ،مادة صنغى ، مجلد ١٢ ، ص٢٦٥

Davidson Basil:The Africanpast ,London ,١٩٧١,P٢٥.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٨ ،

Michael A . Gomez : Timbuktu under Impetial song hay , A reconsideration Autonomy ,the journal of African history ,Cambridge University press ,١٩٩٠, p٩.

,Lansine kABa: cit,op,p ٢٤٤/٢٥٦.

سني على[١] . وبعودتهم وبفضل رعاية أسكيا محمد لهم وللفقه المالكي ، أصبحت مدينة تنبكت مركزاً مهماً للفقه المالكي في دولة صنغى يقصدها الفقهاء وطلاب العلم .

وبتولي أسكيا محمد الحكم ارتفاع شأن المذهب المالكي ، فقد اشتهر بالورع والتقوى كما كان مراعياً لحرمة الدين ملتزماً باتباع أحكامه ، كما كان له ميل شديد لنشر الإسلام السني وجعله ديناً ودولة . كما كان له اهتمام كبير بالفقهاء ، يأخذ برأيهم في جميع شؤونه ، " كان يسأل العلماء عن سُنة رسول الله صلى الله علية وسلم ويمشى على أقوالهم "[٢] ، في أمور الدين والدنيا[٣] ، وفى أمور السلم والجهاد .

وكان لخروج أسكيا محمد للحج عام(٩٠٢_٩٠٣هـ/ ١٤٩٦_١٤٩٧م)[٤] أثر كبير في دعم المذهب المالكي في دولته بين رعاياه ، حيث لقي أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب، ففي مصر التقى بالإمام السيوطي المتوفى عام (٩١١/ ١٥٠٥م)[٥].

---

(١) ,Elspwth ,j, B,A: op.cit, p٣٥,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.
z Michael A . Gomez : Ibid ,p ٨.

(٢) ومن هذا أسئلته للإمام السيوطي في مصر أثناء رحله حجة ، أنظر ، البرتلى ، مصدر سابق ، ص١١١ ، وكذلك أسئلته للإمام المغيلى ، وعن جهل علماء بلادة بالأمور الدينية ، انظر المغيلى :"محمد بن عبد الكريم" ،أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلى، تقديم عبد القادر زيادية، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ص٣٢.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ١١، ١٢.

(٤) نفس المصدر : ص ١٦.

(٥) هو" جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي ، أنظر عبد الرحمن السيوطي : الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٤م ، مقدمة الكتاب .

وبعد عودة الاسكيا الحاج محمد الكبير من رحلة حجه " زاد حماسه لنشر الدين الإسلامي والتمكين للمذهب المالكي فيقول الوفرانى في هذا الصدد :"فرجع إلى السودان فنصر السنة و أحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال "[١].

ومن ذلك اهتمام الأسكيا الحاج محمد الكبير بعد رجوعه من رحلة الحج بمحاربة الإمارات الوثنية ، مما كان له أثر كبير في سيادة وتمكين المذهب المالكي ، وخاصة بعد أن أصطحب معه الفقيه الصالح" مور صالح جور" ليبين له أحكام الجهاد في سبيل الله وفق المذهب المالكي[٢]، فخرج عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) للجهاد ضد دوله الموشى الوثنية[٣] وقد قام بإرسال الفقيه الصالح مور صالح إلى سلطان الموشى يدعوه للإسلام ونبذ الوثنية أو الالتزام بدفع الجزية. غير أن سلطان الموشى رفض الاستجابة لهذا العرض ، مستجيبا لأوامر كاهن معبدهم الوثني الذي أشار عليه بعدم ترك دينه ودين آبائه وأجداده ، وما أن نقل له الفقيه العالم الصالح مور صالح ما دار بينه وبين حاكم الموشى ، لم يجد أسكيا الحاج محمد بدا من الاستعداد

---

(١) الوفرانى :"محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، ط٢ ، الرباط ، مكتبه الطالب ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ .p٩. Michael A . Gomez : op,cit

(٢) السعدي : مصدر سابق ص٧٤، إبراهيم طرخان : إمبراطوريه صنغى الإسلامية ، مجله كليه الآداب ، جامعه الرياض ، مجلد ٨ ، الرياض ، ١٩٨٦ مص١٦.

(٣) دولة موشي دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسي وعسكري ، وأهلها من المحاربين الذين هاجموا تنبكت ، وخربوها زمن منسا موسى حاكم مالي ، وفى عهد صنغى دخلوا في صراع عسكري مع حاكمها سني على وأسكيا محمد اللذي شنا عليهم حربا باسم الإسلام ، أنظر ميشيل إيزارد : شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو ١٩٨٨م، مجلد ٤ ، ص٢٢٥،٢٢٣،

Michael A .Gomez :op,cit,p٥.

للقتال خاصة وأن أهل الموشى قد أعدوا العدة لمحاربته . وفى هذا الصدد يقول السعدي:"فقاتلهم وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبى ذرا ريهم فكل من أتى من هذا السبي من رجال ونساء صاروا مباركين ولم يكن في هذا الإقليم جهاد في سبيل الله إلا هذه الغزوة وحدها"[١] ،وإذا كان هذا العمل يدل على حرص الأسكيا الحاج محمد الكبير على نشر الإسلام وإعلاء كلمه الله ومحاربه البدع والخرافات في أيامه[٢] فإنه يدل أيضا على تقديره لفقهاء المذهب المالكي الذين استعان بهم في كل أمور دولته مما أعان على التمكين للمذهب المالكي في ربوعها .

كما اتصل الأسكيا محمد عام(٩٠٢هـ / ١٥٠٢م) بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى[٣]المتوفى عام(٩٠٩هـ/ ١٥٠٩م)والذي يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره . وذكر له الأسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية ، وبالتالي عدم أهليتهم الشرعية في تولى مناصب الدولة المهمة ، فكان رد الإمام المغيلى للأسكيا محمد ناصحاً له بقوله :"...وجب عليك أن تطلب عالما من أهل الذكر، فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي إن بعدوا ..."[٤] .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٧٤.

(٢) المغيلى : مصدر سابق ، ص٤٦.

(٣) المغيلى "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى التلمسانى ، ولد في تلمسان شمال غرب الجزائر من أسرة بربرية من قبيلة مغيلة، وهو من العلماء القلائل الذين حفظت مؤلفاتهم وبقيت ذكراهم إلى يومنا هذا في بلاد السودان الغربي وتوفى عام"٩٠٩ هـ/ ١٥٠٩م"أنظر ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص٥٧٧،٥٧٦ ،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:A Contribution to the Biography of sheikh Muhammad Ibn,Abd-Al-kariam lbn Muhammad, Autonomy ,the journal of African history vol ١٤,no.٣،١٩٧٣ Cambridge University press ,p٣٨١،٣٩٤.

(٤) المغيلى : أسئلة الاسكيا ، ص٣٢،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:Idel ,p ٣٨٢

وقد أصبح هذا التوجيه حافزاً للأسكيا محمد الكبير فعمل بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويعد محمد عبد الكريم المغيلى من الوافدين إلى بلاط أسكيا محمد في مدينة جاو ، واتخذه الأسكيا محمد مستشاراً دينياً له ، كما أقام الإمام المغيلى حلقات علمية ، ومارس نشاطه في التأليف ، وكان له مناظرات دينية مع العلماء[١] .

والجدير بالذكر أن الأسكيا الحاج محمد الكبير كان مقرباً لهؤلاء العلماء الفقهاء ، فإن دخلوا عليه أجلسهم وقربهم منه[٢] ، وارتفعت مكانتهم عنده لدرجة أنه حضر إلى جاو قادما من تنبكت خصيصاً لاستقبال القاضي أبى البركات عند رجوعه من الحج عام(٩٢٤هـ / ١٥١٨م)[٣].

وقد سار الأسكيا داوود على نهج الاسكيا محمد الكبير في التمكين والسيادة للمذهب المالكي ، وقد ساعده على ذلك أنه كان حافظاً للقرآن ، فقيهاً عالماً بأحكام هذا المذهب ، فقد قرأ كتاب "الرسالة" لأبى زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ / ٩٦٦م)[٤] على يد أحد فقهاء المالكية[٥]. وفى عهده انتشرت كتب المذهب ، بفضل اتخاذه نسّاخاً ينسخون له الكتب التي كان يهديها إلي العلماء والفقهاء . كما قام بإنشاء

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٠،
usman Muhammad bugE :cit,op,٨٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١، ٥٥.

(٣) السعدي : مصدر سابق ،ص ٧٦.

(٤) ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النغزاوي القيرواني) ولد عام"٣١٠هـ/ ٩٢٢م" شيخ المالكية بالمغرب، كان إماماً بارعاً في العلوم ، واسع الثقافة والإطلاع متبعاً طريق السلف داعياً إليه بالقلم واللسان والعمل، كثير الحفظ واسع العلم والرواية فصيح اللسان والقلم يقول الشعر ويجيده مع صلاح وورع وعفة.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٩٤، ٩٥.

خزائن الكتب[١] ،حيث كانت الكتب هوايته المفضلة والتي كان يقدمها للعلماء والعارفين ليعين بذلك طلاب العلم على الاطلاع على كتب المذهب.

كما كان الأسكيا داوود شديد الكرم والاحترام للفقهاء وكذلك كان كثير الاحتفاء بهم، ومن ذلك استقباله الحار للقاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء[٢]،كما كان يزورهم إذا مرضوا، ويستمر في عيادتهم إلي أن يتماثلوا للشفاء[٣] .

ويرجع العامل الثاني لسيادة المذهب المالكي في دولة صُنغى إلى تولى عدد من فقهاء المالكية عدداً من الخطط الدينية والتي يأتي في مقدمتها خطة القضاء والفتيا. وكان يعين هؤلاء الفقهاء (المفتين ـ القضاة) أسكيا، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية ، ومع ذلك فإنهم كانوا في الأحكام التي يصدرونها مستقلين تماما يعتمدون

---

(١) المصدر السابق والصفحة ، إبراهيم طرخان ، دولة صنغى ، ص٣٧.

(٢) كما كان معروفاً كذلك بالأعمال الخيرية ، فقد حدث أن منح الفع محمود كعت صاحب الفتا ش ما عينه بنفسه لتجهيز بناته الأربع وأبنائه الخمسة بمناسبة زواجهم وكانت المنحة ضياعا وخيولا وعبيدا و ملابس.وتكاليف العُرس قد يساعد فيها السلطان إذا كان الطالب له جاه عنده وهذا ما فعله الفع كعت صاحب تاريخ الفتاش ، وكان في تلك الفترة يتولى أمر القضاء في مدينة تنبكت فعندما أراد أن يزوج أولاده الخمسة وبناته الأربع أرسل إلى الاسكيا داوود مع كاتبه نكر لنبار يطلب منه أن يعينه على متطلبات العُرس قائلا : (فنادى الفع كعت) كاتبه بكر لنبار فجاء فقال له أردت أن أبعثك إلى أسكي بحاجة لنا ، فقال أنا رسولك بلا شك فقال قل لاسكى إنى محتاج قصدناه فإن لي أربع بنات وخمسة بنين مقبلون علي الزواج ونطلب منه أربع زرابى، وأربع إماء وأربع كلات وأن يعينني في جهازهن البنات وأما البنون أريد لهم العمامة وأريد منه كسوة العام قميصين وعمامتين وقلنسوتين والدابتين فرسا (و رمكه عتيقة) ومزرعة وعبيدها وبذرها وأربعين حلابة .. ونريد منك ياأسكى الفع أن تخبره وتبلغه رسالتي، أنظر كعت ،ص١٠٨.

(٣) ومن هذا ما حدث مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت عندما مرض في كاغ في بعض أسفاره وكان السلطان أسكي داوود يأتيه كل ليلة يسمر عنده حتى برئ تعظيما له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١٥.

فقط علي الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك .ولذلك كان الأساكي حريصين في اختيارهم على أن يكون المعينون من الفقهاء البارزين في العلم و المتضلعين في الفقه المالكي[١]، والذين يتمتعون بالورع والصلاح والزهد .

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد في تنظيم القضاء في دولته ، إذ أكثر من القضاة بحيث لم تخل مدينة من المدن الكبرى من قاضٍ مثل تنبكت وجاو وجني وغيرها من المدن، إذ إنه عين في كل بلد من بلاده قاضيا[٢]يفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية . وقد تولي قضاء دولةُصنغى الإسلامية عدد من القضاة ممن اتصفوا بالعدل وحسن السيرة . ففي مدينة تنبكت تولى القضاء قضاة ينتمون إلى عائلة أقيت ، ويأتي في مقدمتهم الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت(٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م)[٣] ، وكان قد عينه أسكيا محمد عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) لاشتهاره بالعلم والصلاح والفقه[٤].

(١) وقد أتسم تعاملهم مع المذهب بالسمات الآتية :

" أ "التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستئناس عند من تهيأت لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين .

"ب" الإفتاء والقضاء بالقول المشهور في المذهب ، وعدم الخروج عنه إلا فيما ندر

"ج" طغيان طابع التقليد في الإفتاء والقضاء وندرة طابع الاجتهاد ،أنظر الفكر السامي :ج٤ ، ص٣١٨.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٥٩.

(٣) أحمد بابا : " أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م" نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط١، ١٩٨٩م ،ص ٦٠٧، السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٩٠.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨، محمد بن مخلوف : شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٦٠٤. Levtzion ,N : Islam in west Africa,p٣٤٣

كذلك كان حال القضاء في مدينة جني[١] ، فقد تولى عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء هناك ، منهم فودي محمد بن سانوا الونكرى ، وكان فقيهاً وعالماً كبيراً ، وصلت شهرته العلمية وصلاحه إلى أسكيا الحاج محمد الكبير فولاه قضاء مدينة جني عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) بعد عودته من الحج[٢].

أما قضاة مدينة جاو فقد تولى خطة القضاء فيها الفقيه القاضي محمود كعت الذي كان معاصرا للأسكيا محمد الكبير و أسكيا داوود ، وشغل منصب القضاء نظرا لشهرته الواسعة في الفقه وكذلك لسعة علمه[٣] .

كما تولى فقهاء المالكية خطة الفتوى وهى خطة ضرورية للناس كافة حيث يحتاجونها في مختلف مناحي الحياة ، سواء في العبادات أو المعاملات . ويعد محمد بن عبد الكريم المغيلى من أهم من تولوا هذه الخطة في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير، منذ أن وصل إلى جاو عاصمة دولة صُنغى في عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) . فقد وجه له أسكيا الحاج محمد الكبير عدة أسئلة مهمة تتناول مسائل اجتماعية ودينية وسياسية ،

---

(١)مدينة جني من أهم المراكز الثقافية في السودان الغربي ، تتمتع بموقع ممتاز في جزيرة وسط المياه على أحد روافد نهر النيجر وتقوم على هضبة صخرية لها سهل فسيح تغطية المياه في الخريف ثلاثة أشهر من فيضان نهر النيجر وتقع على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت ،وهى مدينة قديمة جدا يرجع تأسيسها للقرن الأول الهجري ، وقد وصلت مدينة جني درجة من الازدهار والثقافة جعلتها تحتل المركز الثاني بعد مدينة تنبكت ، لذلك كان الاساكى يهتمون بها ويعينون لها القضاة الصالحين، ويساعدون هؤلاء القضاة على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد. أنظر السعدي : تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص١١، ١٢ ،١٦ ، ١٧.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٥٩، السعدي : مصدر سابق ،ص١٨.

(٣) مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، ص٥٤٧.

ومن خلال أسئلة الأسكيا محمد يتضح مدى حرصه على إصلاح حال البلاد وفق الشريعة والمذهب المالكي[١].

أما العامل الثالث الذي أعان في تمكين المذهب المالكي وسيادته فهو ازدهار تدريس الفقه المالكي على يد عدد من فقهاء السودان الغربي . وقد نبغت أسرتان كبيرتان في هذا المجال ، الأسرة الأولى أسرة أقيت والأسرة الثانية أسرة بغيغ ، بالإضافة إلى عدد أخر من فقهاء المالكية من غير هاتين الأسرتين .

ويأتي على رأس أسرة أقيت الشيخ الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) والذي فر من مدينة تنبكت بسبب اضطهاد حاكم صُنغى سني على لفقهاء هذه المدينة ، وظل في مدينه ولاته التي رحل إليها حتى وفاته يدرس الفقه فاستفاد الطلاب منه استفادة كبيرة[٢] . وكان للأسرة الثانية وهي أسرة بغيغ جهود كبيرة في مجال التدريس ساهمت في تحقيق سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد .ويأتي على رأس هذه الأسرة القاضي الفقيه محمود بن أبي بكر الجنوى بلدا الونكرى أصلا ، وهذا الفقيه العالم والد كل من الفقيهين أحمد بغيغ المتوفى عام (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م)[٣]والفقيه محمد بغيغ (٩٣٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) . والأخير من أعلام المذهب المالكي وهو أستاذ ومعلم للفقيه أحمد بابا التنبكتي[٤].

---

(١) تذاكر مع الاسكيا الحاج محمد في جملة من المسائل الفقهية وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أضاءت الحياة العلمية في السودان الغربي .أنظر أحمد بابا :نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، مصدر سابق ص٥٧٦ ،٥٧٧ ، كما كان مفتيا ورأساً لسياسة الاسكيا الحاج محمد ، حيث ألف له كتابا أطلق عليه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ،الاروانى : السعادة ، مصدر سابق ،ص ٨٥. وللمزيد عن هذه الخطط الدينية أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧،أنظر الاروانى : مصدر سابق ، ص٨٣،٨٢

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص٢٩ ، البرتلي ، مصدر سابق ، ص٢٨.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٠٢.

وكان العامل الرابع لسيادة المذهب المالكي فى بلاد السودان الغربي زمن دولة صُنغى هو قيام الكثير من فقهاء المالكية في تلك البلاد بالشرح والتعليق على أمهات الكتب في الفقه المالكي . وكان لانتمائهم لمذهب الإمام مالك أثر كبير في تأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعليقات على مؤلفات هذا المذهب ، وخاصة مختصر خليل الذي يعتبر مؤلفه هو حامل لواء مذهب الإمام مالك في زمانه بمصر ، والكتاب يضم المشهور من الآراء مجردا من الخلاف في فروع فقهية كثيرة جدا مع الإيجاز البليغ ، وقد حظي مختصر خليل هذا بنصيب كبير من الدراسة والتأليف فألفوا عليه الحواشي والتعليقات ، منها تقييد أو شرخ وضعه الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى المتوفى عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)[١]. كما كان للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) تقييد في سفرين ضما شرحاً لمختصر خليل ، ولأهمية هذا الشرح أقبل عليه طلاب العلم بالدراسة والتحصيل[٢].كما وضع أيضاً العاقب بن عبد الله الأنصمنى المتوفى بعد عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تعليقاً على مختصر خليل[٣].

وقد حازت هذه المؤلفات الفقهية لهؤلاء الفقهاء الكثير من الإقبال ، فسعي إلي طلبها العلماء وطلاب العلم مما أعان علي سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد ، وكان هذا بفضل ظهور جيل من الفقهاء والعلماء أخذوا علي عاتقهم تدريس هذا المذهب والتأليف فيه ، وذلك بفضل تمسك الحكام وأعلام الفقهاء والعلماء به ومن ورائهم المحكومون كافة .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٦٨، ١٧١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٩، ٤٠ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧.